

صالح عليّ السلام

صالح عليه السلام

هو نبي الله صالح بن عبيد بن أسف ويمتد نسبه إلى سام بن نوح، نشأ صالح عليه السلام في قبيلة ثمود، وهي القبيلة التي سميت باسم الجد الأكبر لهم وهو الجد الخامس لصالح عليه السلام وتوجد هذه القبيلة بين الحجاز والشام، وهي قبيلة عربية مشهورة، وكانوا بعد قوم عاد، وكانوا يعبدون الأصنام مثلهم؛ فبعث الله لهم رجلاً منهم هو صالح عليه السلام وكانت دعوته بعد دعوة هود عليه السلام (١).

مساكن ثمود والتهتم:

كانت مساكن ثمود بالحجر، وهو مكان بين الحجاز والشام، ومدائن صالح ظاهرة حتى الآن، ويعرف الآن بـ(فج الناقة)، وكانت مساكنهم في مناطق جبلية، ويوجد في ديار ثمود بئر يسمى (بئر ثمود).

ولمَّا نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبوك نزل بالحجر عند بيوت ثمود، فاستسقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا منه ونصبوا لها القدور.

فأمرهم النبي ﷺ فأهرقوا القدور، وأطعموا العجين للإبل، ثم ذهب بهم حتى نزل على البئر التي كانت تشرب منه الناقة، ونهاهم أن

(١) «البداية والنهاية»، ابن كثير. (بتصرف).

يدخلوا على القوم الذين عذبوا، وقال ﷺ: «إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم»^(١).

وقد كانت ثمود تتعبد لأصنام كثيرة منها: ود، وشمس، ومناف، ومناة، والسلات... وغيرها.

دعوة صالح ﷺ إلى قومه:

اختار الله سبحانه صالحاً ﷺ لأداء رسالته، واصطفاه لتبليغ الدعوة إلى قومه، فأرشدهم إلى عبادة الله وحده وترك الأصنام، فقال لهم: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَعِفُّوه ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١].

وأخبر صالح ﷺ قومه أنهم سيبعثون بعد الموت وفناء الحياة الدنيا، وأن الله تعالى سوف يبعث من في القبور، وسيحاسبهم على كفرهم وعصيانهم وعدم اتباع رسلهم، وعتوهم عن أمر ربهم، وأنهم سيتوقفون للحساب، فيجازون بحسب ما قدموا في حياتهم الدنيا، وأن الحياة الآخرة صدق، وأنها الحياة الحقيقية الدائمة، إما في النعيم وإما في الجحيم، فردَّ عليه الملائم من قومه قائلين: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنِ اطَّعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْدِيكُمْ أَتَمُّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَتَمُّكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيَّاتِ هَيَّاتِ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون: ٣٣-٣٧].

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (١١٧/٢).

ثم قال لهم ﷺ : هل تظنون أن الله سيرترككم فيما أنتم تتمتعون به من هذا النعيم، آمين على أنفسكم من حلول عذاب الله بكم، فتنعمون بالزروع والبساتين والنخيل، وتنحتون من الجبال بيوتاً لتسكنوا فيها، ثم لا تشكرون الله على هذه النعم الكثيرة؟

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٠﴾ وَالَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الشعراء: ١٥٠-١٥٢].

ناقة صالح ﷺ :

مرّت الأيام بصالح ﷺ وهو يدعو قومه، وفي ذات يوم وجدهم مجتمعين في ناديتهم، فجاءهم ﷺ فدعاهم إلى الله وحذّره من غضبه وعقابه إن ظلوا على كفرهم.

فسألوه إن كان نبياً أن يأتيهم بآية من الله، تؤكد صدق ما جاء به من نبوة، وحددوا الآية أن تكون ناقة عظيمة، واقترحوا بأن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم منفردة في ناحية الحجر.

وأخذ عليهم صالح ﷺ العهود والمواثيق إن أجابهم الله تعالى إلى سؤالهم وطلبهم بأن يؤمنوا بالله ويعبدوه ويتبعوا صالحاً ﷺ^(١)، وهنا قام صالح ﷺ يصلي لله عز وجل ويدعوه، فاستجاب الله له وتحرك الصخرة وتصدّعت، وتخرج منها ناقة عظيمة يتحرك جنبها بين جنبها.

جاءت الناقة كما سألوها، وأول من آمن منهم سيدهم (جندب بن

(١) «صفوة التفاسير»، محمد علي الصابوني. (بتصرف).

عمرو) ومن كان معه على أمره، وصدَّهم عن الإيمان (ذؤاب بن عمرو بن لييد) و(الحباب) صاحب أوثانهم.

وصف ناقة صالح عليه السلام :

كانت الناقة خلقاً هائلاً ومنظراً رائعاً، إذا مرَّت بأنعامهم نفرت منها، وجعل الله لها شرباً في يوم معلوم، وجعل لهم شرباً في يوم غيره، وأمرهم صالح عليه السلام ألا يمسُّوها بسوء، فلا تُعذَّب ولا تُطرد ولا تُركب ولا تُذبح، وأوعدهم بالعذاب إن هم اعتدوا عليها بسوء، وأن سلامتهم مقرونة بسلامتها.

قال تعالى على لسان صالح: ﴿ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٩﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦٠﴾ [الشعراء: ١٥٥، ١٥٦].

قتل الناقة:

كان سبب قتل الناقة أن امرأة من قوم صالح يقال لها (عنيزة بنت غنم) وتكنى أم عثمان، وكانت عجوزاً كافرة، وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام، وكانت لها بنات حسان ومال كثير، وكان زوجها (ذؤاب بن عمرو) أحد رؤساء ثمود، وامرأة أخرى يقال لها (صدقة بنت زهير)، وكانت ذات حسب ومال وجمال، وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقته.

دعت (عنيزة بنت غنم) (قدار بن سالف) وكان رجل أحمر قصيراً، وقالت له: أعطيك أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة، فأجابها، ودعت (صدقة بنت زهير) رجلاً يقال له (الحباب) فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة؛ فأبى عليها، فدعت ابن عم لها يقال له

(مصدع بن مخرج) فأجابها إلى ذلك .

فعند ذلك انطلق (قدار بن سالف) و(مصدع بن مخرج) فأتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [النمل: ٤٨].

وكانوا رؤساء في قومهم، فاستمالوا القبيلة الكافرة بكاملها، فطاوعتهم على ذلك .

وانطلقوا يرصدون الناقة حين انتهت من شرب الماء حيث كمن لها (قدار بن سالف) خلف صخرة على طريقها، وكمن لها (مصدع بن مخرج) خلف صخرة أخرى على طريقها، ومرّت الناقة على (مصدع) فرماها بسهم فأصابها في ساقها، ثم أسرع (قدار بن سالف) فشد عليها بالسيف، فكشف عن عرقوبها، فخرّت الناقة ساقطة على الأرض، فنحرها^(١).

قال تعالى: ﴿ إِذْ أَنْبَعَتْ أَشَقَّتْهَا ﴾ [١٧] فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَتَهَا [١٣] فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا [١٤] وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا [١٥] ﴾ [الشمس: ١٢ - ١٥].

وقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أحدنكما بأشقى الناس، رجلين؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي»^(٢).

(١) «تفسير ابن كثير»، ابن كثير. (بتصرف).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک»: (١٤١)، وأحمد في «مسنده»: (٤/٢٦٣).

هلاك ثمود:

بعد أن عقر الناقة أشقى أهل الأرض (قدار بن سالف)، بلغ الخبر صالحاً عليه السلام، فلما رأى الناقة بكى وقال لهم: ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدْ غَيْر مَكَدُوبٍ ﴾ [هود: ٦٥].

وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء، فلما أمسى أولئك التسعة رهط عزموا على قتل صالح عليه السلام، فلما عزموا على ذلك جاءوا من الليل ليقتلوه، فأرسل الله سبحانه عليهم حجارة، فقتلتهم قبل قومهم.

وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح عليه السلام.

وأصبحوا في اليوم الثاني وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة.

وأصبحوا في اليوم الثالث وهو يوم السبت ووجوههم مسودة.

فلما كان صبيحة يوم الأحد (اليوم الموعود) تاهبوا وقعدوا ينتظرون ماذا يحل بهم من العذاب، وكيف يأتيهم العذاب.

وأشرقت الشمس، جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح، وزهقت النفوس في ساعة واحدة^(١).

ولم يبق من ذرية ثمود أحد سوى صالح عليه السلام ومن تبعه ممن آمن معه رضي الله عنهم.

ونجى الله رسوله ومن آمن معه، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣].

(١) تفسير ابن كثير، ابن كثير. (بتصرف).